مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية
Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264
العدد A14 No. 14A
آب 2026 Aug 2026

Work and Production in the Qur'an: A Study from an Economic Perspective

Qasswar Falih Shnyoor

Abstract

This study aims to clarify the concept of work and production in the Qur'an, and to explore their semantic dimensions and the foundations upon which they are established within the Qur'anic worldview. The study addresses the definitions of work and production from both linguistic and terminological perspectives, followed by an analysis of their meanings in the Qur'anic text, highlighting the integrative relationship between them, whereby production is regarded as a natural outcome of directed human effort. The research also examines the elements of production in the Qur'anic perspective and the principles underlying its development, such as striving, moderation, reliance on God (tawakkul), and justice in the distribution of its outcomes. In addition, it identifies the value-based framework that regulates economic activity and guides the behavior of individuals and communities, through emphasizing principles such as sincerity, the prohibition of exploitation, and the realization of social responsibility. The study concludes that work and production in the Qur'an are not understood as merely abstract economic activities; rather, they represent an integrated system that combines values with performance, and efficiency with justice, in a way that achieves balance between individual and societal needs. It further demonstrates that this perspective is applicable in contemporary contexts and contributes to presenting an economic model that aligns with the principles of sustainable development and addresses many modern economic challenges.

— ***Work in the Qur'an، Production in Islam، Qur'anic Economic Thought ، Value System in Islam، Sustainable Development.***

العمل والإنتاج في القران الكريم رؤية اقتصادية

قسور فالح شنيور

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم العمل والإنتاج في القرآن الكريم، والكشف عن أبعادهما الدلالية، والأسس التي يقومان عليها ضمن الرؤية القرآنية. وقد تناول البحث تعريف العمل والإنتاج لغةً واصطلاحاً، ثم تحليل دلالاتهما في النص القرآني، مع إبراز العلاقة التكاملية بينهما بوصف الإنتاج نتيجةً طبيعية للعمل الإنساني الموجّه. كما تناول البحث عناصر الإنتاج في الرؤية القرآنية، والأسس التي تقوم عليها تنميته، مثل السعي، والاعتدال، والتوكل، والعدالة في توزيع نواتجه، فضلاً عن بيان الإطار القيمي الذي ينظم النشاط الاقتصادي، ويضبط سلوك الأفراد والجماعات، من خلال التأكيد على مبادئ كالإخلاص، وتحريم الاستغلال، وتحقيق المسؤولية المجتمعية. وتوصّل البحث إلى أن العمل والإنتاج في القرآن الكريم لا يُفهمان بوصفهما نشاطين اقتصاديين مجردين، بل يمثلان منظومة متكاملة تجمع بين القيم والأداء، وبين الكفاءة والعدالة، بما يحقق التوازن بين متطلبات الفرد والمجتمع. كما بيّن البحث أن هذه الرؤية تمتلك قابلية للتطبيق في السياق المعاصر، وتسهم في تقديم نموذج اقتصادي ينسجم مع مبادئ التنمية المستدامة، ويعالج العديد من الإشكاليات الاقتصادية الحديثة. المقدمة :عُدّ العمل والإنتاج من أهمّ المفاهيم التي يقوم عليها البناء الحضاري والاقتصادي للمجتمعات، إذ يشكّلان الأساس الذي تنتظم من خلاله حركة الإنسان في الحياة، وتتحدد بهما طبيعة علاقته

بذاته وبالآخرين وبالكون من حوله. وفي هذا السياق، يقدّم القرآن الكريم رؤية متميزة لهذين المفهومين، تتجاوز الطرح الاقتصادي الضيق، لتؤسّس لنموذج متكامل يجمع بين البعد القيمي والوظيفة التنموية، ويُدرج النشاط الإنساني ضمن إطار الاستخلاف والمسؤولية. فالعمل في الرؤية القرآنية لا يُختزل في كونه مجرد وسيلة للكسب أو تحقيق المنفعة المادية، بل يُفهم بوصفه نشاطاً إنسانياً واعياً يدخل ضمن دائرة التكليف، ويعبّر عن حرية الإنسان المقيدة بالضوابط الشرعية، بما يجعله مجالاً لتجسيد القيم والأخلاق. ومن هذا المنطلق، يتسع مفهوم العمل ليشمل مختلف أوجه النشاط الإنساني، سواء في العبادات أو المعاملات، الأمر الذي يمنحه طابعاً شمولياً يربط بين البعدين الروحي والمادي. أما الإنتاج، فإنه في المنظور القرآني لا يُنظر إليه كعملية تقنية محضة، بل بوصفه ثمرةً طبيعيةً للعمل المنظّم الذي يُمارَس ضمن منظومة من القيم، مثل العدالة، والاعتدال، والإتقان، وتحريم الاستغلال. وهذا ما يضفي على العملية الإنتاجية بعداً أخلاقياً يوجّهها نحو تحقيق الصالح العام، ويمنع انحرافها نحو الهيمنة أو الإفساد، مما يبرز خصوصية الرؤية القرآنية في الربط بين الكفاءة الاقتصادية والالتزام القيمي. وتنبع أهمية هذا البحث من الحاجة إلى إعادة قراءة المفاهيم الاقتصادية في ضوء المرجعية القرآنية، ولا سيما في ظل التحديات المعاصرة التي يشهدها العالم، من اختلالات اقتصادية، وتفاوتات اجتماعية، وأزمات بيئية، الأمر الذي يستدعي البحث عن نماذج فكرية قادرة على تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي. وفي هذا الإطار، تمثل الرؤية القرآنية للعمل والإنتاج منطلقاً أساسياً لبناء تصور اقتصادي بديل، يضع الإنسان في مركز العملية الاقتصادية، ويربط بين الإنتاج والمسؤولية. وعليه، يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم العمل والإنتاج في القرآن الكريم، وتحليل أبعادهما الدلالية، واستكشاف العلاقة التكاملية بينهما، فضلاً عن استنباط عناصر العملية الإنتاجية وأسس تنميتها، وبيان الإطار القيمي الذي ينظّم النشاط الاقتصادي. كما يسعى البحث إلى إبراز الامتداد المعاصر لهذه الرؤية، من خلال مقارنتها بالنماذج الاقتصادية الوضعية، وبيان مدى تقاطعها مع مفاهيم حديثة كالتنمية المستدامة. وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، القائم على تتبع الآيات القرآنية ذات الصلة، وتحليل مضامينها في سياقها العام، وربطها بالأبعاد الاقتصادية والاجتماعية، بما يفضي إلى بناء رؤية متكاملة تبرز خصوصية التصور القرآني في معالجة قضايا العمل والإنتاج ضمن إطار إنساني شامل.

الكلمات المفتاحية: العمل في القرآن الكريم، الإنتاج في الإسلام، الفكر الاقتصادي القرآني، النظام القيمي في الإسلام ،التنمية المستدامة

المبحث الأول مفهوم العمل في القرآن الكريم وأبعاده الدلالية

أولا: تعريف العمل لغةً واصطلاحاً

العمل في اللغة يدور معناه حول الفعل المقصود الذي يصدر عن الإنسان، أكان ذهنياً ام جسدياً ، ويُفهم بوصفه الجهد الذي يتم توجيهه نحو غاية معينة، وهذا ما يتميز عن كونه الحركة العفوية أو النشاط غير المقصود. ويُستعمل للاشارة على الكسب والسعي، وهذا ما يعكس ارتباطه الوثيق بالانتاج الأثر وتحقيق المنفعة [1] . وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (التوبة: 105)

في الاصطلاح هو يمكن وصفه نشاطاً إنسانياً واعياً يُبذل من اجل تحقيق غاية مشروعة، وفق إطار من الضوابط والقيم التي تنظّم حركة الإنسان في الحياة. وهنا، لا ينحصر العمل عند الجانب الاقتصادي ، بل يمتد ليمثل كل فعل يدخل ضمن دائرة التكليف، تعلق ذلك بالعبادات أو المعاملات، وهو ما يعطيه طابعاً شاملاً في الرؤية الإسلامية[2] .

ثانيا: معنى العمل في القران دلالته وابعاده

لمفهوم العمل في القرآن الكريم بعداً يتخطى المعنى اللغوي المباشر، فهو لا يُنظر إليه بوصفه مجرد نشاط جسدي أو ذهني، بل بانه ممارسة إنسانية مهمتها الاستخلاف في الأرض، بما تحمله من مسؤولية وعمران. فقوله تعالى : إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (الكهف: 7) فنلاحظ حضور العمل في النص القرآني غابا ما يأتي مقروناً بالجد والسعيّ، وهذا ما يعكس طبيعة الجهد الإنساني في ضوء التكليف الإلهي، بحيث يتحدد موقع الإنسان عن طريق فعله وإنتاجه، وليس مجرد وجوده[3] .

واذا تتبعنا الألفاظ القرآنية، يتبين أن العمل يرتبط بمفاهيم عدة كالسعي والكسب والفعل والابتغاء، وكلها تشير إلى حركية الإنسان في الواقع، لكن هذا الحراك ليس عشوائياً، وانما تضبطه غاية واضحة تتمثل في تحقيق التوازن بين متطلبات الحياة الدنيا والآخرة. وهنا يظهر العمل في سياق قرآني جامع بين البعدين المادي والروحي، حيث لا ينفصل الإنتاج عن القيم، ولا يُفصل الكسب عن المسؤولية، وهو ما يعطي على مفهوم العمل طابعاً يتجاوز الفهم الأداتي الضيق[4] .

كما ان هذه الدلالة تؤكد حين يُربط العمل بالجزاء، حيث تصبح العلاقة بين الجهد والنتيجة على أساس من العدلة الإلهية. وهنا قيمة العمل لا تكون متحققة بمجرد حصوله، بل تتحدد ضمن منظومة معيار تفهم المقصد والأثر، هذا الأمر يجعل العمل في رؤية القرآن الكريم مجالاً لتجسيد القيم بقدر ما هو وسيلة لتحقيق المكاسب والمنافع[5] .

ثالثا: العمل بين مسؤولية الفرد والبناء الاجتماعي

وهذا لاينفصل عن البنية الكلية للرؤية القرآنية للإنسان، الذي يعد كائناً مسؤولاً عن اختياراته، وقادراً على توجيه أفعاله ضمن إطار من الحرية الانضباطية، وهذا يجعل العمل من مظاهر هذا الاختيار الواعي. كقوله تعالى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ" (المائدة: 2) والعمل في هذا السياق يكتسب بعداً وجودياً، فنراه يمثل وسيلة لتحقيق الذات ضمن الحدود الشرعية، وليس مجرد وسيلة للعيش أو البقاء[6] .

ويبتعد هذا الفهم ليشمل الابعاد الاجتماعية، إذ لا يوجد العمل في القرآن بوصفه نشاطاً فردياً معزولاً، بل هو جزء من مجموعة علاقات إنسانية تتكامل وتتنوع فيها الأدوار والمسؤوليات. وهنا تتجلى أهمية مفاهيم التعاون والتكافل، التي تشكّل الإطار الذي فيه تنتظم الجهود الفردية ضمن بناء اجتماعي معتدل، بما يؤدي الى تحقيق الاستقرار وتبادل المنافع بين أفراد المجتمع[7] .

ومن جهة أخرى، يقوم البعد الاقتصادي للعمل كونه الأساس الذي تقوم عليه عملية الإنتاج وتحقيق الثروة، لكن هذا البعد لا يُفهم بمعزل عن الضوابط القيمية التي تتبناه. فاشتراط المشروعية بعملية الكسب، وربط النشاط الاقتصادي بامور الحلال، يعطي العمل بعداً أخلاقياً يحد من الانحرافات ويمنع تحول الإنتاج إلى طريقة للاستغلال، وهو ما يمثل خصوصية الرؤية القرآنية التي تربط بين الاقتصاد والأخلاق في بنية واحدة . [8]

رابعا: العمل بين ابتلاء وإتقان الانسان وأثره في التنمية

قال تعالى : وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (التوبة: 105) ان التأمل في السياقات القرآنية عن ارتباط العمل بمبدأ الابتلاء، يمثل ما يقدمه الإنسان من جهد وسعي مجالاً لاختبار القيم التي يتبناها، وهذا ما يفسر التفاوت في النتائج واختلاف مآلات الأفعال نتيجة لاختلاف المقاصد والنيات. وبهذا يصبح العمل ميداناً تتجلى فيه حقيقة الصورة الإنسانية، لا مجرد وسيلة لتحقيق المنفعة الآنية[9] .

وفي المقابل يبرز توجيه قرآني نحو إتقان العمل واهمية جودة الأداء، بما يعزز من قيمة الإنتاج ويمنحه بعداً نوعياً يتجاوز من الكم إلى الكيف. فالإتقان لا يرتبط عند حسن الإنجاز فقط، بل يمتد ليشمل الإخلاص في الأداء، وهذا ما ينعكس على النشاط الاقتصادي من خلال رفع مستوى الكفاءة وتحسين المخرجات، بحيث يسهم في تحقيق تنمية متوازنة ومستدامة[10] .

وبهذا الأساس، نجد أن العمل في القرآن الكريم يقوم على منظومة متكاملة تجمع بين المسؤولية والتكليف ،وبين الفرد والمجتمع، وبين الإنتاج والقيم، وهذا ما يؤدي لفهم أعمق للرؤية الاقتصادية التي ينطلق منها النص القرآني في تنظيم الانشطة الإنسانية وتوجيهها نحو مقاصد أوسع من مجرد تحقيق الربح أو الكفاية[11] .

المبحث الثاني : الإنتاج في منظور قرآن الكريم وأسس تنميته

أولا: تعريف الإنتاج لغةً واصطلاحاً: يأتي لغةً بمعنى الإخراج والإظهار، مثلاً يقال أنتج الشيء إذا أخرجه إلى الوجود من كوامنه، وهذا ما يعكس طبيعة الفعل المنتج بكونه انتقالاً من الإمكان إلى التحقق. ويتضمن هذا المعنى على دلالة التوليد والاستحداث، سواء كان في المجال المادي أو المعنوي، مما يجعل الإنتاج مرتبطاً

بالفعل الخلاق الذي يعطي إلى الواقع شيئاً جديداً[12] . كما في قوله تعالى: وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ" (القمر: 12)

أما اصطلاحاً، يعني الإنتاج بوصفه عملية تحويل الموارد المتاحة إلى سلع أو خدمات لتحقيق منفعة للإنسان، ضمن الجهد المنظم الذي يجمع بين العمل وعناصره الأخرى التي تؤثر في توليد القيمة. لكن هذا المفهوم، في الرؤية الإسلامية، لا يقتصر في البعد المادي، بل يمتد ليشمل كل نشاط يؤدي إلى منفعة مشروعة، اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، وهو ما يعطيه طابعاً شمولياً يتجاوز المفهوم الاقتصادي الوضعي[13] .

ثانيا: علاقة الإنتاج بالعمل في الدلالة القرآنية : قال تعالى : "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" (آل عمران: 133) يتضح الإنتاج في القرآن الكريم بكونه نتيجة طبيعية للعمل الإنساني الموجه، حيث تتعدد الإشارات إلى أثر السعي في إخراج الخيرات وتنمية الموارد، بما يؤدي ارتباطاً وثيقاً بين الجهد والنتاج. فالنصوص القرآنية لا تعزل بين العمل ونتيجته، بل تربط بينهما ضمن منظومة سببية تقوم على القوانين الإلهية التي تحكم الكون، حيث لا يتحقق الإنتاج إلا من خلال الجهد واستغلال الإمكانات المتاحة[14] .

والإشارات القرآنية يتجلى فيها إلى الزراعة والتجارة والصناعة، حيث تُعرض هذه الأنشطة بكونها مجالات للإنتاج المشروع الذي يؤدي الى إعمار الأرض وتحقيق الكفاية. ولا يقتصر الأمر على ايضاح هذه الأنشطة، بل يتعداها إلى توجيه الإنسان نحو استثمار الموارد وعدم توقفها، بما يعكس وعياً قرآنيّاً بأهمية الإنتاج فيخلق التوازن الاقتصادي داخل المجتمع[15] .

والملاحظ أن الربط بين العمل والإنتاج لا يقوم على البعد الكمي فقط، بل أيضاً على البعد القيمي، فهو يُشترط في الإنتاج أن يكون مشروعاً ومحققاً للمنفعة بدون الاضرار بالآخرين، مما يعطي العملية الإنتاجية بعداً أخلاقياً يضبط مسارها ويرفض انحرافها نحو الاستغلال أو الإفساد[16] .

ثالثاً: عناصر الإنتاج في الرؤية القرآنية

اذا تأملنا في البناء القرآني، كقوله تعالى : يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران: 156) يمكن ان نستنبط عناصر الإنتاج بصورة ضمنية، فنلاحظ ان العمل يشكل الركيزة الأساسية التي تنطلق منها العملية الإنتاجية، بوصفه يمثل الجهد المبذول في توظيف الموارد. وإلى الجانب منه تبرز الأرض باعتبارها مكاناً للإنتاج ومصدراً للثروات، وهذا الظاهر خلال التأكيد المتكرر على تهيئة الأرض للإنسان وتمكينه من الانتفاع من خيراتها[17] .

وتبرز الموارد الطبيعية بكونها عاملاً حيوياً في العملية الإنتاجية، فالقرآن الكريم يشير إلى تنوع هذه الموارد من ماء ومعادن ونبات، وهذا يعكس شمولية النظرة إلى مصادر الإنتاج. وهذا لا ينفصل عن دور الإنسان في توظيف هذه الموارد، فيُناط به حسن استثمارها ضمن حدود الاعتدال وعدم الإفساد، الأمر الذي يربط لنا بين الإنتاج والمسؤولية البيئية[18] .

ومن جهة أخرى، نلاحظ حضور عنصر التنظيم في العملية الإنتاجية، من الإشارات القرآنية إلى التدبير والتقدير، وهذا ما يعكس أهمية التخطيط في تحقيق الكفاءة الإنتاجية. فالإنتاج تحققه لا يكون بمجرد توفر الموارد، بل يحتاج إدارة واعية تضمن حسن توزيع الجهود ووضع الإمكانات بصورة تحقق أفضل النتائج .

[19]

رابعاً: تنمية الإنتاج واسسها في القرآن الكريم

تنمية الإنتاج في الرؤية القرآنية تقوم على مجموعة من الأسس التي تتكامل فيما بينها لتحقيق التوازن الاقتصادي، ويأتي في مقدمتها السعي المستمر وعدم الركون إلى الكسل، بما يؤدي الى تعزيز حركة الإنتاج ويمنع الجمود الاقتصادي. كذلك يرتبط ذلك بالتوكل الذي لا يُفهم بوصفه بديلاً عن العمل، بل باعتباره بعداً روحياً مرافقا للجهد الإنساني دون أن يُلغيه[20] .

كما يظهر مبدأ الاعتدال بكونه أساساً في تنظيم الإنتاج، حيث يُوجَّه الإنسان إلى عدم الإفراط والتفريط، بما يحقق استدامة الموارد وعدم استنزافها. وهذا التوجيه يعكس فهماً مبكراً بأهمية التوازن في العملية الإنتاجية، وهذا ما يتقاطع مع مفاهيم التنمية المستدامة في الفكر الاقتصادي المعاصر[21] .

وفي الجانب الاخر يبرز مبدأ العدالة في توزيع نواتج الإنتاج، فلا يُنظر إلى الإنتاج بوصفه غاية في ذاته، بل وسيلة لتحقيق الكفاية المجتمعية وكذلك الى تقليل الفوارق بين الأفراد. وهذا يجعل العملية الإنتاجية في الرؤية القرآنية مرتبطة بمقاصد أوسع تعبر حدود الربح إلى تحقيق التوازن الاجتماعي[22] .

وهنا يتضح أن الإنتاج في القرآن الكريم لا يُفهم بكونه نشاطاً اقتصادياً مجرداً، بل كعملية متكاملة تجمع بين الموار والعمل والتنظيم، وتخضع لمنظومة من القيم التي تسيطر على ضبط مسارها وتوجهها نحو تحقيق الصالح العام، وهو ما يعطي الرؤية القرآنية طابعاً متميزاً يربط بين الكفاءة الاقتصادية والالتزام الأخلاقي . [23]

المبحث الثالث : التنظيم القيمي للعمل والإنتاج في القرآن الكريم

أولاً: الإطار القيمي في الرؤية القرآنية للعمل والانتاج

لا ينفصل العمل في القرآن الكريم عن منظومته القيمية التي تضبط حركته وتحدد مساره، إذ يقدَم النشاط الإنساني ضمن إطار أخلاقي يجعل من الإنتاج أداة ووسيلة لتحقيق مقاصد أوسع من كونها مجرد الكسب المادي. فقوله تعالى: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُدْنِيكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ" (الفرقان: 37) فوجود القيم في توجيه العمل تعكس طبيعة الرؤية القرآنية التي ترى بالإنسان بوصفه مسؤولاً عن أفعاله، لا من حيث النتائج فقط، بل من حيث الوسائل والمقاصد كذلك [24] .

ويتضح هذا الإطار في الربط بين الايمان والعمل الصالح ، حيث يتقدم العمل بوصفه امتداداً للعقيدة، مما يعطي النشاط الاقتصادي بعداً روحياً يتجاوز المصلحة المفردة الضيقة. ومن هنا لا يكون الإنتاج غاية مستقلة بذاتها، بل جزءاً من منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق التوازن بين حاجات الإنسان المادية ومتطلباته القيمية . [25]

ثانياً: العدالة في العمل وتنظيمه وتوزيع نواتج الإنتاج

تعد العدالة أحد المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها العمل وتنظيمه في القرآن الكريم، فهو يُوجه النشاط الاقتصادي تجاه تحقيق التوازن بين الأفراد، ومنع التفاوت غير العادل في توزيع الثروة. فالإنتاج لا يُقصد به تجمع الموارد لدى فئة معينة، بل هو تحقيق الكفاية العامة، بحيث يضمن استقرار المجتمع ويحدّ من مظاهر الاحتكار والهيمنة الاقتصادية[26] .

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا" (النساء: 58) ويظهر هذا التوجه في الدعوة إلى إعطاء كل ذي حق حقه، سواء كان في الأجور أو في الحقوق المرتبطة بالعمل، مما يزيد من قيمة الإنصاف في العلاقات الاقتصادية. كما أن هذا التنظيم لا يتحدد بالجانب الفردي، وانما يمتد ليشمل البنية الاجتماعية ككل، فهو يربط العدالة بالاستقرار العام، بما يجعلها شرطاً أساسياً للاستمرار في العملية الإنتاجية بصورة متوازنة[27] .

ثالثاً: ضوابط تحريم الاستغلال وضبط السلوك الاقتصادي

الملاحظ في الخطاب القرآني كقوله تعالى : وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ" (البقرة: 188) التأكيد الواضح على منع أشكال الاستغلال التي قد تنشأ عن النشاط الاقتصادي، سواء من خلال الغش أو الاحتكار أو أكل أموال الناس بغير حق. وهذا التوجيه لا يهدف إلى حماية الفرد فقط، بل يسعى إلى حماية الانظمة الاقتصادية من الانحراف، بما يضمن سلامة التبادل وتحقيق الثقة بين أطرافه[28] .

وأن ضبط السلوك الاقتصادي لا ينفصل عن ضبط النية، فنجد يُربط العمل بالإخلاص وتجنب الفساد، الأمر الذي يضيف على النشاط الإنتاجي بعداً أخلاقياً عميقاً. وهنا يصبح الإنتاج محكوماً بمعايير مزدوجة تجمع بين الالتزام والكفاءة، وهو ما يميز الرؤية القرآنية عن النماذج التي تفصل بين الوسيلة والغاية[29] .

رابعاً: المسؤولية المجتمعية للعمل والإنتاج في القران الكريم

يتجاوز العمل في القرآن الكريم حدود المصلحة الفردية ليأتي ببعداً اجتماعياً واضحاً، حيث يدعو الإنسان إلى مراعاة أثر نشاطه على الآخرين، بما يعزز ذلك من التكافل داخل المجتمع . فالإنتاج لا يُفهم بوصفه حقاً فردياً مطلقاً، بل يرتبط بجملة من الالتزامات التي تفرضها طبيعة العيش المشترك[30] .

وهنا تتجلى أهمية الإنفاق والصدقة بكونهما آليتين لتحقيق التوازن في توزيع الثروة، فيُعاد توجيه جزء من نواتج الإنتاج نحو الافراد المحتاجة، بما يساعد في تقليل الفوارق الاقتصادية وتعزيز الاستقرار الاجتماعي. وهذا يعكس فهماً شرعيا عميقاً لدور الاقتصاد في خدمة المجتمع، لا العكس[31] .

خامساً: الإتقان والاعتدال كقيمة إنتاجية

يوجد مبدأ الاعتدال في القرآن الكريم بوصفه قاعدة تنظم كافة جوانب الحياة، ومنها النشاط الاقتصادي، حيث يُنهى عن الإسراف كما في التقتير، بما ينتج توازناً في استخدام الموارد. وهذا التوجيه يسهم في ضمان ادامة الإنتاج ومنع هدر الإمكانات، وهو ما يتقاطع مع مفاهيم حديثة في الاقتصاد تتعلق بحسن إدارة الموارد . [32]

وفي نفس السياق ، يظهر الإتقان بوصفه قيمة مركزية تضفي على العمل بعداً نوعياً، فهو لا يُكتفى بإنجاز العمل، وانما يُطلب تحسينه وإحكامه، بحيث ينعكس على جودة الإنتاج وكفاءته. وهنا يتشكل تصور قرآني يجعل من الجودة جزءاً لا يتجزأ من العملية الإنتاجية، وليس مجرد عنصر ثانوي فيها[33] .

سادساً: القيم والإنتاج وتلازمها في بناء الاقتصاد القرآني

في ضوء ما تقدم، يتضح أن القيم ليست عنصراً مكملاً للعمل والإنتاج، وانما هي الإطار الذي تتحدد من خلاله طبيعة النشاط الاقتصادي بأجمعه. فكلما التزم العمل بهذه القيم، كان اقترب من تحقيق مقاصده في بناء مجتمع توازني، وكلما انحرف عنها، تحوّل إلى مصدر خلل واضطراب[34] .

وعلى هذا، تتضح ملامح رؤية قرآنية متكاملة تجعل من الإنتاج والعمل وسيلة لتحقيق العدالة والاستقرار، داخل منظومة تجمع بين الكفاءة الاقتصادية والالتزام الأخلاقي، وهذا ما يمنح هذه الرؤية خصوصيتها في معالجة القضايا الاقتصادية ضمن إطار إنساني شامل[35] .

المبحث الرابع: البعد الاقتصادي المعاصر للرؤية القرآنية في العمل والانتاج

أولاً: فكرة العمل والإنتاج في ضوء الاقتصاد الإسلامي المعاصر

عند استحضار الرؤية القرآنية لفكرة العمل والإنتاج في سياقاتها المعاصرة، كقوله تعالى : يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران: 156) يتبين أنها تمثل أساساً نظرياً يمكن أن يُبنى عليه تصور اقتصادي متكامل، إذ إن المبادئ التي وضعها القرآن لا تقتصر على زمن معين، بل تمتد اكثر لتشكل إطاراً قابلاً للتطبيق في مختلف البيئات الاقتصادية. فارتباط العمل بالقيم، وربط الإنتاج بالمشروعية، يمنح الاقتصاد الإسلامي قدرة على التوازن بين الكفاءة والعدالة، وهو ما تفتقر إليه كثير من النماذج الاقتصادية الحديثة التي تغلب عليها النزعة المادية[36] .

ويتضح هذا الامتداد من خلال إعادة قراءة المفاهيم القرآنية من خلل التحديات الاقتصادية المعاصرة، حيث يمكن توظيف مبادئ كالسعي، والعدل، والتكافل في بناء أنظمة اقتصادية تراعي الإنسان بوصفه محور العملية الإنتاجية، لا كونه وسيلة ضمن منظومة السوق. وهذا ما يفتح المجال أمام تطوير نماذج اقتصادية تستلهم النص القرآني دون أن تنفصل عن الواقع[37] .

ثانياً: العمل والإنتاج في ضوء التنمية المستدامة

تتقاطع الرؤية القرآنية للعمل والإنتاج مع معنى التنمية المستدامة، من خلال التأكيد على التوازن في استثمار الموارد، وعدم الإفساد في الأرض، وهذا ما يعكس وعياً مبكراً بأهمية الحفاظ على البيئة وضمان الاستمرارية للموارد للأجيال القادمة. قال تعالى : لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا" (الأعراف: 56) فالنشاط الاقتصادي، مع هذا التصور لا يُبنى على الاستنزاف، بل على حسن التوظيف والاعتدال[38] .

وأن ربط الإنتاج بالقيم يساعد في تحقيق تنمية شاملة لا تقتصر على الجانب الاقتصادي فحسب بل تمتد لتشمل الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية، والذي يؤدي الى تعزيز استقرار المجتمعات ويحدّ من الأزمات الناتجة

عن الاختلالات الاقتصادية. وهنا تتجاوز التنمية في الرؤية القرآنية حدود النمو الكمي إلى بناء متوازن يراعي الإنسان والبيئة في آن واحد[39].

ثالثاً: مقارنة مع النماذج الاقتصادية الوضعية

ان النظر إلى النماذج الاقتصادية الوضعية، يتضح اختلاف جوهري في المنطلقات، حيث تقوم هذه النماذج في الغالب على تعظيم الربح بوصفه الهدف الأساس، مما ياخذنا في كثير من الأحيان إلى إغفال البعد الأخلاقي في النشاط الاقتصادي. وفي المقابل نجد ان الرؤية القرآنية كقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الحجرات: 10) تقدم تصوراً يوازن بين المصلحة الفردية والصالح العام، بحيث لا يُسمح بتحقيق الربح على حساب حقوق الاخرين او القيم[40].

وهذا لا يعني التعارض رفضاً مطلقاً لما أنتجته المدارس الاقتصادية الحديثة، وانما يمكن الإفادة من أدواتها مع إعادة توجيهها ضمن إطار قيمي يتلائم مع المبادئ القرآنية. وبهذا يتحقق نوع من التكامل الذي يجمع بين التوجيه الإلهي والخبرة الإنسانية ، بما يسهم في بناء اقتصاد أكثر توازناً وإنسانية[41] .

رابعاً: نحو نماذج اقتصادية مستلهمة من القرآن الكريم

مما تقدم يمكن تصور نموذج اقتصادي يستند إلى الرؤية القرآنية، يقوم على مجموعة من القواعد التي تجمع بين العمل المنتج، والتوزيع العادل، والالتزام القيمي. وهذا النموذج لا يكتفي بتحقيق الكفاءة الإنتاجية، وانما يسعى إلى بناء مجتمع متوازن تتحقق فيه الكفاية والاستقرار، بدون أن يكون ذلك على حساب الاخلاق والقيم[42] .

وهذا التصور يتيح إعادة النظر في كثير من الإشكاليات الاقتصادية المعاصرة، مثل البطالة والفقر والتفاوت الطبقي، من خلال تقديم معالجات تنطلق من فهم أعمق لطبيعة العمل والإنتاج في الإسلام. وهنا يمكن للرؤية القرآنية أن تسهم في ملئ الفكر الاقتصادي، وتقديم بدائل عملية تتجاوز حدود النماذج التقليدية . [43]

الخاتمة

يتبين خلال هذه الدراسة أن العمل في القرآن الكريم لا يرى بوصفه مجرد نشاط إنساني لتحقيق الكسب، وانما هو عنصر محوري في بناء الإنسان والمجتمع، يرتبط بوظيفة الاستخلاف، ويخضع لأسس قيمية تضبط مساره وتحدد غاياته. وأن الإنتاج، في هذا الإطار لا يُنظر إليه كغاية مستقلة بذاتها، بل كوسيلة لتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي، ضمن رؤية شاملة تجمع بين الاثنين الكفاءة والعدالة.

وقد أظهرت المباحث أن الرؤية القرآنية هذه للعمل والإنتاج تقوم على أسس متكاملة تشمل جوانب المسؤولية الفردية، والالتزام الأخلاقي والتكافل الاجتماعي، مما يعطي النشاط الاقتصادي بعداً إنسانياً يتجاوز النماذج المادية البحتة. وكذلك اتضح أن هذه الرؤية تمتلك قابلية عالية للتفاعل مع الواقع المعاصر، من خلال تقديم مبادئ يمكن توظيفها في بناء أنظمة اقتصادية أكثر توازناً واستدامة.

وبهذا الأساس، يمكن القول إن القرآن الكريم يقدم نموذجا لتصوراً اقتصادياً متكاملاً، يجعل من العمل والإنتاج وسيلة لتحقيق عمران الأرض وإقامة العدل في الحياة ، ضمن إطار قيمي يحفظ للإنسان كرامته من جهة ويضمن للمجتمع استقراره من جهة أخرى ، وهو ما يفتح المجال أمام مزيد من الدراسات التي تستثمر هذا البعد في معالجة التحديات الاقتصادية المعاصرة.

قائمة الهوامش

ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص421.
(2)الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص345.
(3)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج20، ص210.
(4)ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص356.
(5)الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج2، ص134.
(6)الصدر، اقتصادنا، ص145.

(7)الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج15، ص89.
(8)الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص58.
(9)الصدر، فلسفتنا، ص212.
(10)الزمخشري، الكشاف، ج4، ص102.
(11)الرازي، التفسير الكبير، ج25، ص77.
(12)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص112.
(13)الزحيلي، التفسير المنير، ج30، ص201.
(14)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص88.
(15)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص243.
(16)الصدر، اقتصادنا، ص178.
(17)الطبرسي، مجمع البيان، ج3، ص56.
(18)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص311.
(19)الرازي، التفسير الكبير، ج12، ص144.
(20)الطبري، جامع البيان، ج18، ص220.
(21)الزحيلي، التفسير المنير، ج12، ص90.
(22)الصدر، اقتصادنا، ص250.
(23)الطباطبائي، الميزان، ج4، ص66.
(24)الطبرسي، مجمع البيان، ج1، ص78.
(25)الطباطبائي، الميزان، ج2، ص145.
(26)ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص101.
(27)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص52.
(28)الطبري، جامع البيان، ج9، ص134.
(29)الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج17، ص88.
(30)الصدر، اقتصادنا، ص301.
(31)الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص190.
(32)الزمخشري، الكشاف، ج2، ص210.
(33)الرازي، التفسير الكبير، ج8، ص65.
(34)الطباطبائي، الميزان، ج3، ص177.
(35)الصدر، فلسفتنا، ص260.
(36)الصدر، اقتصادنا، ص320.
(37)الزحيلي، التفسير المنير، ج29، ص150.
(38)الطباطبائي، الميزان، ج10، ص99.
(39)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص275.
(40)ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص412.
(41)الصدر، اقتصادنا، ص355.
(42)الطباطبائي، الميزان، ج5، ص201.
(43)الزحيلي، التفسير المنير، ج30، ص311.

قائمة والمصادر والمراجع

(1)ابن منظور، محمد بن مكرم، 711هـ، *لسان العرب*، ط1، بيروت، دار صادر، 2003م، ج12، ص421.

(2)الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، 502هـ، *مفردات ألفاظ القرآن*، تحقيق: صفوان داوودي، ط1، دمشق، دار القلم، 2009م، ص345.

(3) الطباطبائي، محمد حسين، 1402هـ، *الميزان في تفسير القرآن*، ط2، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، 1997م، ج20، ص210.

(4)ابن خلدون، عبد الرحمن، 808هـ، *المقدمة*، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط1، القاهرة، دار نهضة مصر، 2004م، ج1، ص356.

(5)الطبرسي، الفضل بن الحسن، 548هـ، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2005م، ج2، ص134.

(6)الصدر، محمد باقر، 1400هـ، *اقتصادنا*، ط5، بيروت، دار التعارف، 1982م، ص145.

(7)الطبري، محمد بن جرير، 310هـ، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: أحمد شاكر، ط1، القاهرة، دار المعارف، 2001م، ج15، ص89.

(8)الحر العاملي، محمد بن الحسن، 1104هـ، *وسائل الشيعة*، ط2، قم، مؤسسة آل البيت، 1994م، ج12، ص58.

(9)الشهيد الصدر، محمد باقر، 1400هـ، *فلسفتنا*، ط3، بيروت، دار التعارف، 1980م، ص212.

(10)الزمخشري، محمود بن عمر، 538هـ، *الكشاف*، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 2007م، ج4، ص102.

(11)الفخر الرازي، محمد بن عمر، 606هـ، *التفسير الكبير*، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م، ج25، ص77.

(12)ابن فارس، أحمد بن فارس، 395هـ، معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، القاهرة، دار الفكر، 2002م، ج5، ص112.

(13)الزحيلي، وهبة، 1436هـ، *التفسير المنير*، ط10، دمشق، دار الفكر، 2009م، ج30، ص201.

(14)القرطبي، محمد بن أحمد، 671هـ، *الجامع لأحكام القرآن*، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 2006م، ج7، ص243.

(15) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 774هـ، *تفسير القرآن العظيم*، ط1، الرياض، دار طيبة، 2003م، ج4، ص311.

(16)الرازي، محمد بن عمر، 606هـ، *التفسير الكبير*، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م، ج12، ص144.

الزمخشري، محمود بن عمر، 538هـ، *الكشاف*، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 2007م، ج2، ص210.

(17) الصدر، محمد باقر، 1400هـ، *فلسفتنا*، ط3، بيروت، دار التعارف، 1980م، ص260 .